الحجاج ومناهج تحليل الخطاب

أ. د. أبو بكر العزاوي

المغرب

ملخص:

يهدف هذا المقال، إلى التعريف بعدد من مناهج تحليل الخطاب، ولو بشكل موجز، سواء منها المناهج، التي تهتم بالمؤلف، أو التي تهتم بالنص، وكذلك المناهج التي تركز بشكل كبير على المتلقي أو المخاطب.

ولكن الهدف الأساسي لهذا المقال، هو التعريف بمنهج جديد من مناهج تحليل الخطاب، وهو الذي دعوناه بالتحليل الحجاجي للخطاب.

وهذا المنهج، حاولنا أن نضع أسسه، وذلك في إطار ما نقوم به من محاولات لتطوير نظرية الحجاج في اللغة، وتطبيقها على أنماط عديدة من النصوص والخطابات. ونجد نماذج من هذه التطبيقات في كتاب (الخطاب والحجاج).

Abstract:

The aim of this article is to give a definition to such methods of speech analysis which concern either the author or the text, in addition to those focusing on the learner.

However, the main purpose is to define a new method of speech analysis called " speech argumentative analysis".

We tried to make basis to this method so as to develop arguments theory in language and applying it on different types of texts speech, as well as finding samples of those applications in a book entitled "Speech and Arguments".

الخطاب ومناهج التحليل

إن المناهج والمقاربات التي تناولت الخطاب عديدة ومتنوعة، وكل منهج منها يدرس جانبا من جوانب النص أو الخطاب. فهناك المناهج النفسية والاجتماعية والتاريخية والأنتروبولوجية التي درست الخطاب من الخارج، واعتبرت النص أو الخطاب وثيقة تعكس شخصية المؤلف ونفسيته، أو تعكس تاريخه ومجتمعه إلى غير ذلك.

وهناك أيضا المناهج التي حاولت أن تدرس النص أو الخطاب من الداخل، وأن تتعامل معه كبنية مغلقة. فالنص هو بنية ونسق من العلامات اللغوية، وهو أيضا مجموعة من العلاقات القائمة بين هذه العلامات. وندرج هنا المناهج البنيوية بالخصوص.

وبعد هذا ظهرت مقاربات جديدة، مثل نظرية التلقي مع باحثين ورواد من أمثال ياوس وإيزر، وهؤلاء يركزون على المتلقي، ويتحدثون عن استجابة القارئ وأفق الانتظار وغيرها من المفاهيم والمصطلحات.

المنارة للاستشارات

ww

وإذا أردنا أن نلخص تاريخ النظريات والنماذج التحليلية والمناهج النقدية والأدبية، فيمكن الحديث عن ثلاثة مراحل:

أ- مرحلة وقع الاهتمام فيها بالمؤلف (المناهج النفسية والاجتماعية...).

ب- مرحلة وقع التركيز فيها على النص (المناهج البنيوية).

ج- مرحلة وقع الاهتمام فيها بالمتلقي، أو المخاطَب (نظرية التلقي).

بعد هذا، جاءت المقاربات التلفظية والتداولية، وقدت خدمة كبرى للناقد والمحلل، كيفما كان نوع الخطاب المدروس سواء أكان خطابا أدبيا أو فلسفيا أو سياسيا أو تاريخيا أو دينيا إلى غير ذلك.

ونريد في مقالنا هذا، أن نتحدث عن المقاربة التداولية التلفظية بشكل عام والمقاربة الحجاجية بشكل خاص. والحجاج يندرج ضمن مباحث التداوليات وهو فرع من فروعها. والتداوليات، كما هو معلوم، تدرس اللغة أو الخطاب، داخل السياق، وهي دراسة استعمال اللغة من قبل المتكلمين، وهي أيضا دراسة اشتغال اللغة داخل الخطاب.

والسياق، حسب التعريف التقليدي، يشمل المشاركين في الخطاب (المتكلم والمخاطَب)، والظروف الزمانية والمكانية، ويشمل أيضا المقاصد والأهداف والمعتقدات والمعرفة المشتركة (le savoir commun).[1]

إن المقاربة التداولية تهتم بالمتكلم والمتلقي والنص، وهي بهذا، تهتم بكل ما اهتم به النقاد والدارسون والمحللون في المراحل الثلاثة المذكورة أعلاه.

والغاية من هذا المقال الموجز، هي التعريف بمنهج جديد من مناهج تحليل الخطاب، دعوناه بالتحليل الحجاجي للخطاب. وهو منهج طبقناه على مجموعة من النصوص والخطابات الشعرية والنثرية القديمة والحديثة.

التحليل الحجاجي للخطاب

قبل التعريف بهذا المنهج، الذي هو التحليل الحجاجي للخطاب، نريد أن نعرف بالحجاج بشكل عام، والحجاج اللغوي بشكل خاص.

فالحجاج، كما هو معلوم، فعالية تداولية خطابية استدلالية جدلية، وهو تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم نتيجة معينة، وهو أيضا منطق اللغات البشرية، والاستدلال المرتبط بها. وهناك أنماط عديدة من الحجاج: اللغوي والبلاغي والمنطقي والتداولي والجدلي....الخ.[2]

المنارة للاستشارات
ww

ونظرية الحجاج في اللغة التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو (O.Ducrot)، والتي نتبناها، ونعمل على تطويرها منذ زمن بعيد، تقول: (إننا نتكلم عامة بقصد التأثير)، وهي تحاول أن تبين أن اللغة لها وظيفة أساسية، هي الوظيفة الحجاجية، وأن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية اللغة، بصفة ذاتية وجوهرية.[3]
فنحن نجد الحجاج في بنية الجمل والأقوال نفسها، ونجده في كل الظواهر اللغوية والخطابية.
وتسعى نظرية الحجاج اللغوي إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متناسم وتدريجي.
والحجاج، بعبارة أخرى، يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.[4]
لقد تصدى الباحثون لتحليل الخطاب، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، متوسلين في ذلك بمناهج عديدة، بنيوية ولسانية واجتماعية ونفسية وغيرها. ولقد حاولنا في كتاب (الخطاب والحجاج) أن نقترح نموذجا جديدا لتحليل الخطاب. وهو النموذج الحجاجي، وحاولنا أيضا أن ندرس مجموعة من النصوص والخطابات ومنها النص القرآني والنص الشعري والنص المثلي والنص الإشهاري. ولقد عملنا على إبراز حجاجية النصوص المدروسة من خلال مفاهيم نظرية الحجاج في اللغة[5] مثل الروابط والعوامل الحجاجية، والحجج والنتائج، والسلم الحجاجي، والمبادىء الحجاجية، وأضفنا إليها مفاهيم أخرى من قبيل البرنامج الحجاجي، والاستراتيجيات الخطابية، والأفعال اللغوية، والعلائق الدلالية المنطقية، والانسجام التداولي الحجاجي، ومنطق النص والخطاب، وغيرها من المفاهيم والمصطلحات. وكانت الغاية هي تطوير النظرية الحجاجية وتوسيع مجالها ليسهل تطبيقها على مختلف النصوص والخطابات.

ونحن نؤكد أهمية دراسة الجوانب الحجاجية والإقناعية والتواصلية في تحليل مختلف أنماط النصوص والخطابات. وفي كثير من النصوص، وخاصة النصوص الإشهارية والإعلامية والدينية والسياسية والصحفية والقانونية تكون الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأساسية والمركزية، أي الوظيفة التي تحكم الوظائف الأخرى وتوجهها. وقد لا يسند إلى هذه الوظيفة الدور المركزي في بعض النصوص الأدبية والفنية، ومع ذلك فإنها تكون حاضرة وموجودة، بل إن بعض النصوص الشعرية والأدبية يبرز فيها الحجاج بشكل ظاهر ولافت. فأشعار أحمد مطر مثلا، أو

المنارة للاستشارات
ww

اعتذاريات النابغة الذبياني أو الأشعار التي تندرج في إطار الشعر السياسي هي حجاجية بامتياز.

فعلى المناهج اللسانية والسيميائية والنقدية الحديثة أن تبرز جوانب النص التداولية والحجاجية والإقناعية إلى جانب مظاهره الفنية والأدبية والجمالية؛ فالجوانب الحجاجية مكون أساسي من مكونات الخطاب. وهذا المكون يتفاعل مع المكونات الأخرى ويتكامل معها. فنحن نتكلم عادة بقصد التأثير.

ونحن ننطلق هنا من مسلمة مفادها أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب. ثم إن مجال الحجاج ليس هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار حيث تظهر وجوه اشتغاله، وتتجلى طرائق استعماله. ثم إن ارتباط الحجاج بالتواصل مسألة مسلم بها، فحيثما يكون التواصل يكون الحجاج وحيث يكون الحجاج يكون التواصل، ونحن هنا نؤكد المبدأ العام الذي أوردناه في بحوثنا السابقة: " لا تواصل من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل ".

فدراسة الحجاج، وكما أشرنا إلى ذلك في دراسات سابقة، تنتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب؛ أي تسعى إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنام وتدريجي.

والخطاب هو متوالية من الجمل والأقوال التي تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل علاقات الشرطوالاستلزاموالسببيةوالتفسيروالتبريروالاستنتاجوالتعارضوالتعليل (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجية استدلالية).ومجموع هذه العلاقات هو ما يكون البنية المنطقية للخطاب، أو ما نسميه عادة بمنطق الخطاب أو منطق النص.وإذا كنا قد انطلقنا من نظرية الحجاج في اللغة، فإن الخطاب هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة، والدليل يفضي إلى النتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه، ويوجه القول الذي يتلوه.

والخطاب، أيا كان نوعه، تكون له وظائف عديدة ومتنوعة: وظيفة إخبارية وإعلامية، ووظيفة إديولوجية، ووظيفة جمالية، ووظيفة تفاعلية، ووظيفة حجاجية إقناعية وغيرها من الوظائف. وينبغي العمل على إبراز الوظيفة الأخيرة أي الوظيفة الحجاجية، وتفاعلها مع المكونات والوظائف الأخرى.

المنارة للاستشارات
ww

لقد أشرنا سابقا إلى أننا حاولنا أن نقترح نموذجا جديدا لتحليل الخطاب دعوناه بالتحليل الحجاجي للخطاب. ونجد هذا في الدراسات التي اشتمل عليها كتاب (الخطاب والحجاج)ونجده أيضا في بحوث ومقالات أخرى. وليست هناك ـ حسب علمنا ـ محاولات كثيرة في هذا المجال، وخصوصا فيما يتعلق باللغة العربية. وحتى في مجال اللغة الفرنسية، فالمحاولات قليلة ومعدودة، على رؤوس الأصابع وتتمثل في بعض المقالات وبعض الأطروحات الجامعية غير المنشورة. وتبقى محاولتنا هذه المتمثلة في كتاب (الخطاب والحجاج) محاولة جديدة وجريئة ليس في المغرب فحسب، وإنما في العالم العربي بشكل عام. ثم إن الأمر يتعلق هنا بالحجاج اللغوي وبنظرية الحجاج في اللغة، ولا يتعلق بالحجاج البلاغي أو الحجاج المنطقي أو بغيرهما من أنماط الحجاج. ومن هنا فإن المجال بكر والموضوع جدير بالبحث والدراسة، ومن هنا أيضا رغبتنا في إرساء أسس علمية ومنهجية لما يمكن تسميته بالتحليل الحجاجي للخطاب.

ولقد اعترضتنا مشاكل عديدة نذكر منها:

1 ـ المجال لا زال بكرا، والقيام بتحليل حجاجي للخطاب يعد مغامرة محفوفة بالمخاطر.

2 ـ الحجاج الذي نعتمده هو الحجاج اللغوي، وما قام به أزفالد ديكرو وتلامذته يهم الروابط والأدوات الحجاجية الفرنسية (mais، même، ...).ونحن نعمل على تطوير النظرية وتطويعها وتوسيع مجالها لتطبيقها على النصوص والخطابات بمختلف أنواعها.

وهذا يقتضي الاستفادة من نظريات ونماذج تحليل الخطاب ولسانيات النص وغيرها ويقتضي كذلك اقتراح وإضافة مفاهيم ومصطلحات جديدة أخرى من قبيل البرنامج الحجاجي والاستراتيجية الخطابية وتعالق الروابط وغيرها إلى نظرية الحجاج في اللغة حتى تصبح طيعة وقابلة للتطبيق على الخطاب، أيا كان نوع هذا الخطاب.

3 ـ النصوص والخطابات تختلف فيما بينها من حيث أنماطها وعناصرها ومكوناتها، فكيف يمكن الجمع مثلا بين الخطاب الديني والنص البصري الإشهاري الذي يضم مكونات لغوية وأخرى أيقونية ؟[6]

4 ـ كثرة الروابط والعوامل الحجاجية في بعض النصوص وقلتها في نصوص أخرى.

5 ـ طبيعة النص المراد تحليله.

المنارة للاستشارات
ww

6 ـ تفاعل الجوانب الحجاجية مع العناصر الفنية والجمالية، وخاصة في النصوص الأدبية.

وهناك مشاكل أخرى، ولكن محاولتنا هذه تبقى محاولة جريئة وجديدة وتحتاج إلى التطوير والتجديد حتى تكتسب بعدا مراسيا وإجرائيا وحتى يسهل تطبيقها على مختلف النصوص.

الهوامـــــش

1- هناك تعريفات عديدة للسياق، ومنها التعريفات التي تقدمها اللسانيات المعرفية بشكل عام، والدلالة المعرفية بشكل خاص، وهي تعتبر أن السياق يبنى وليس معطى، والمعنى هو الآخر يبنى.

2- هناك أنماط عديدة من الحجاج، فهناك الحجاج البلاغي، ورائد هذا الاتجاه هو شاييم بيرلمان، والحجاج المنطقي ومن رواده جان بليز غريز، والحجاج اللغوي ومؤسسه أزفالد ديكرو، وهناك نظريات أخرى.

3- انظر أعمال أزفالد ديكرو، وبخاصة كتاب (الحجاج في اللغة)، وكتاب (السلميات الحجاجية).

4- انظر أبو بكر العزاوي، كتاب (اللغة والحجاج)، وكتاب (الخطاب والحجاج).

5- انظر شرح هذه المفاهيم في كتاب (اللغة والحجاج)، وأيضا كتاب (الحجاج والتلفظ) باللغة الفرنسية، لنفس المؤلف.

6- انظر الفصل الرابع، من كتاب (الخطاب والحجاج)، وهو خاص بتحليل الخطاب البصري، والصورة الإشهارية.

فهرس المراجع

المراجع العربية:

- العزاوي أبو بكر، الكليات الاستعارية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد2، فاس 1987.

ـ العزاوي أبو بكر، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة العدد4، الرباط 1991.

ـ العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، الأحمدية للنشر، البيضاء، 2006.

ـ العزاوي أبو بكر، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الطبعة الأولى، البيضاء، 2007.

ـ العزاوي أبو بكر، حوار حول الحجاج، الأحمدية للنشر، البيضاء، 2010.

ـ العزاوي أبو بكر، اللغة والمنطق، طوب بريس، الرباط، 2014.

ـ العزاوي أبو بكر، الحجاج والانسجام في القرآن الكريم: خواتيم سورة البقرة نموذجا، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، بني ملال.

المنارة للاستشارات

ww

- الحجاج اللغوي، قراءات في أعمال أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2017.
- الحجاج وتحليل الخطاب، دراسات مهداة إلى أبو بكر العزاوي، تنسيق رشيد شجيع، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2017.

المراجع الفرنسية:

AZZAOUI, boubker: [1989], Quelques connecteurs pragmatiques en arabe littéraire, Theèse de doctorat Unique (PHD), EHESS, Paris.

AZZAOUI, boubker: [2014], Argumentation et énonciation, Top Press, Rabat

DUCROT, Oswald: [1980], Les échelles argumentatives, ed. Minuit, Paris.

DUCROT, O., et ANSCOMBRE, J.C: [1983], L'argumentation dans la langue, Mardagas, Liège-Paris

GRIZE. J.B: [1982], De la logique à l'argumentation, Oroz, Genève-Paris.

GRIZE. J.B: [1990],Logique et langage, Ophrys, Paris.

المنارة للاستشارات
ww